العلاقات الليبية الفينيقية القديمة بين التأثير والتأثر (814 - 146 ق م)

عماد المختار العطاب كلية التربية صرمان ـ جامعة صبراتة

المقدمـــــة :

لعب البحر الأبيض المتوسط دوراً كبير في التاريخ الحضاري الذي عرفته البشرية ومن بينها المجتمع الليبي القديم الذي جعل منه منطقة جذب للمجتمعات البشرية الوافدة ، وبحكم موقع الساحل الليبي المتوسط لذلك البحر قدم لهم فرصة للتواصل مع الحضارات القريبة منهم كالمصرية ، والفينيقية ،والإغريقية ، والرومانية ، ولم يقتصر الدور الذي لعبه البحر الأبيض المتوسط على الجانب الاقتصادي فقط . بل كان له إسهامات ثقافية وحضارية وهذا ما لمسناه في العلاقة بين الفينيقيين والليبيين القدماء في الجزء الغربي من ليبيا الذي يعرف باسم منطقة المدن الثلاث (التريبوليتانيا) لبدة وأويا وصبراتة ، وقد كان اتصال الفينيقيين بهم يرجع إلى عصر مبكر جداً منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد .

مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات التالية :

أ ـ ما نوع التمازج الثقافي بين السكان الأصليين (الليبيين) والوافدين (الفينيقيين) وما هي نتيجة ذلك التمازج ؟

ب ـ كيف قامت المدن الرومانية فوق أنقاض المدن الفينيقية وخاصةً في ليبيا كما هو واضح في مدينتي لبدة وصبراتة ؟

ج ـ ما مدى تأثر العلاقات الليبية الفينيقية وما هو الدور الايجابي للتواجد الفينيقي في ليبيا

أهداف البحث :

تكمن أهداف البحث في الآتي .

أ ـ معرفة التمازج الثقافي بين السكان الأصليين (الليبيين) والوافدين (الفينيقيين) وما هي نتيجة ذلك التمازج ؟

ب ـ توضيح إقامة المدن الرومانية فوق أنقاض المدن الفينيقية وخاصةً في ليبيا كما

هو واضح في مدينتي لبدة وصبراتة وكذلك فضلاً عما لحق بتلك المدن من تخريب على يد الغزاة من رومان ووندال .

ج ـ معرفة تأثر العلاقات الليبية الفينيقية وما هو الدور الايجابي للتواجد الفينيقي في ليبيا

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في الآتي .

1 ـ ندرة المصادر التاريخية التي تناولت الجوانب المهمة لمجي الفينيقيين إلى ليبيا .

2 ـ عدم فهم الباحثين للغة بعض النقوش المكتوبة (البونية ـ اللاتينية) التي عثر عليها في إقليم المدن الثلاث .

3 ـ تعزيز الاستعمار الايطالي للحقبة الرومانية وطمسه لبعض الآثار التي كانت موجودة لمجي الفينيقيين .

حدود البحث : .

1ـ **الحدود الزمنية** : الفترة الممتدة من 814 ق م ، إلى 146ق م

2 ـ **الحدود المكانية** : من(مذبح الأخوين فليني) رأس لانوف الحالية (شرقاً وحتى بحيرة زيخوس (خليج قابس) غرباً ، والممتدة جنوباً حتى الصحراء، و البحر المتوسط من الشمال

المنهج المستخدم في البحث :

استخدمنا في هذه الدراسة المنهج التاريخي المعتمد على المنهج النقدي والمقارنة بين المعلومات في دراسة المادة العلمية ومعطياتها وتفسير الأحداث التاريخية من نصوص وآراء وتحليلها واستخراج النتائج الضرورية .

تقسيمات البحث :

المحور الأول : اسم ليبيا ودلالاته ، والمحور الثاني : طبيعة تكوين الإقليم السكانية في المنطقة، والمحور الثالث : تأسيس المراكز الفينيقية ، والمحور الرابع : العلاقات الليبية الفينيقية واثر كلاً منهما على الآخر

المحور الأول ـ اسم ليبيا ودلالاته :

لابد لنا من الإشارة إلى المقصد من اسم ليبيا فحسب المصادر التاريخية القديمة تمت الإشارة إلى ليبيا في نص للملك المصري مرنبتاح(*) وذلك عام 1222 ق. م ، وذلك في معرض تسجيل أخبار حملاته وانتصاراته على شعوب أطلق عليهم اسم (الليبو)

[1] ومن هنا تلقف الإغريق تلك التسمية وأطلقوها على الشعوب التي تسكن إلى الغرب من وادي النيل ، وقد نسبوا اسم ليبيا الى مؤلهة لها طقوس خاصة بعبادتها غير أنه في الواقع لم يعثر في المصادر التاريخية على أي مظهر من مظاهر لعبادة تلك المؤلهة إلا ما وصفه بنداروس بأن المؤلهة ليبيا كانت هي ملكة ليبيا عندما استقبلت المؤله ابولون مع الحورية كيريني ، وقد رأى لاروند بأن مظاهر العبادة للربة ليبيا ضلت سرية وخفية طيلة الفترة الكلاسيكية حيث لا يوجد دليل لوجودها [2] وبعد ذلك فأن كلمة (ليبيا) كانت تعني جزء كبير من شمال القارة في ذلك الوقت[3] ، وقد استعمل الاسم في العصور التاريخية القديمة عند المؤرخين والكتاب القدامى أمثال فيرجيلوس متحدثاً عن الليبيين ومدنهم ، وعند بليني الأكبر هذا بالإضافة إلى أن الرومان استعملوا اسم ليبيا وذلك على احد النقوش التي عثر عليها في منطقة رأس الحداجية في مدينة ترهونة يحمل اسم منطقة الليبيين [4] وكذلك عثر على المصطلح في نقش بوني فينيقي ، وقد ذهب بازمة إلى أن اسم ليبيا هو اسم فينيقي يعني الأسد الذي يكثر في ليبيا [5]

المحور الثاني ـ طبيعة تكوين الإقليم السكانية في منطقة ما بين السرتين:

ذكر لنا هيرودوت أن في ليبيا أربع أقوام اثنان منها أصليتان ، واثنان غير أصليين ، وقصد بهذا التقسيم هو أن الليبيين والإثيوبيين في الجنوب هما الأصل ، والفينيقيين والإغريق هم دخلاء استوطنوا في مراحل متفاوتة ،وقد رأى سالوست أن أول من سكن أفريقيا هم الجيتول والليبيون غير أن مع دخول الرومان إلى بلاد المغرب ، وفي نظر الباحثين أن اصل سكان المغرب القديم او ما يعرف باللوبيون هم مجموعة اجناس مختلفة كالحاميين اللذين وفدو من منطقة الجزيرة العربية عن طريق سيناء او القرن الافريقي والزنوج اللذين تسربوا من الجنوب .

وكذلك مجموعات من شعوب البحر الذين جاءوا في رحلات متفاوتة نتيجة تدافع الهجرات الهندواوربية نحو الغرب [6] ، وظهرت العديد من التسميات منها المور ، والنوميديين ، والجيتول قسم هيرودوت القبائل القاطنة في ليبيا إلى مجموعتين المجموعة الأولى فلاحين مستقرين تعيش في غرب بحيرة تريتونيس (شط الجريد تونس) والثانية في الشرق رعاة يمارسون مهنة الرعي [7] غير أنه لم يفرق بينهم من ناحية الجنس وإنما من حيث نظام معيشة تلك المجموعات ، وقد اعتمد بعض المؤرخين هذا التقسيم للتفريق بين الليبيين الشرقيين والغربيين

وسنحاول تسليط الضوء على القبائل الليبية التي ذكرت عند معظم الكتاب القدامى أمثال (هيرودوت ، وسترابون ، وديودورس الصقلي ، وبطليموس) بالرغم من هذه القبائل كانت تفتقر إلى الوحدة السياسية أي (الدولة الموحدة) التي استطاع تحقيقها الفينيقيين فيما بعد [8] ومن بين تلك القبائل نذكر الأتي :

1 - الاسبوستاي : لقد أشار (هيرودوت) إلى هذه القبيلة حيث ذكر بأن أراضيهم تقع إلى الغرب من قبيلة الجليجاماى إلى الداخل من مدينة قورينا لأن المناطق الساحلية يسيطر عليها القورنائيين، وقد أشار بأن الاسبوستاى يشتهرون بالعربات التي تجر بواسطة أربعة من الخيل [9] لقد ورد أسم هذه القبيلة أيضاً لدى (استرابون) وبطلميوس في حين لم ترد لدى بقية الكُتّاب.

2 - النسأمونيس : هي احد القبائل التي أشار إليها هيرودوت إذ ذكر بأنها قبيلة كثيرة العدد سكنت منطقة خليج سرت الكبير [10] ونجدها عند (سكيلاكس) بأن موطن هذه القبيلة يمتد نحو الغرب حتى مذبح الأخوين فيليني ، وقد كانت تترك مواقعها على الساحل في الصيف وترحل إلى واحة أوجلة لجني ثمار النخيل الذي ينمو هناك بكثرة

3 - المكاي : تقع أرض المكاى إلى الغرب من قبيلة النسامونيس وتنتهي عند نهر(كينيبس)(وادى كعام). ويشير(هيرودوت) بأن نهر (كينيبس) يجرى عبر أراضيهـم نحو البحر في الشمال وأن هذا النهر يأتي من تل يدعى تل الحسان، وهو عبارة عن غابة كثيفة وهى على عكس بقية ليبيا التي تحدث عنها والخالية من الأشجار وتبعد هذه المنطقة عن ساحل البحر بمائتي فرسخ[11]. والجدير بالذكر أن هذه المنطقة كانت قد أغرت أحد المغامرين الإغريق في تأسيس مستوطنة عليها وقد كان ذلك على يد(دوريوس) بن ملك إسبارطة، عندما نزل في حملة بحرية في عام 520 قبل الميلاد عند مصب نهر كينيبس (وادي كعام) لتأسيس تلك المستعمرة التي عرفت باسم النهر السالف الذكر، وقد ذكر(هيرودوت) في كتابه الخامس أن القرطاجيين بعد ثلاث سنوات من تأسيس هذه المستعمرة استطاعوا بمساعدة قبيلة المكاي من طرد المغامر الإغريقي، حيث رحل عائدين إلى شبه جزيرة البيلوبونيز ببلاد اليونان.[12]

4 - الجـرمنت : هي أحد المجموعات السكانية التي ذكرها هيرودوت في عداد القبائل الليبية وتدل الدراسات التي أجريت على عدد معين من الهياكل أن الجرمنت ينحدرون من سكان جنس البحر الأبيض المتوسط الذي يعرف الجنس الزنجي ، وقد أظهرت الحفريات التي أجريت في منطقة فزان أن المستوطنة الجرمنتية كانت تتألف من ثلاث أحزمة من الواحات تقع فيما بين المرتفعات الشمالية للحمادة الحمراء وبحر الرمال

العظيم الممتد من أوباري حتى مرزق حيث انتشرت قراهم ومدنهم في وادي الشاطئ في الشمال ووادي الآجال ومنخفض زويلة في الجنوب [13] وضعت قبيلة الجرمنت يدها على مساحات واسعة في الصحراء الليبية وهذا ما وصفه هيرودوت عندما قال بأنهم قوم كثيرو العدد يملكون العربات التي تجر بواسطة أربعة من الخيل والتي كانوا يطاردون بها سكان الكهوف الأثيوبيين ، وإنهم يزرعون التربة بعد أن يسووها فوق الملح وان لهم ثيران تسير إلى الخلف وهي ترعى وذلك بسبب انحناء قرونها الى الأمام[14]

5 - المشـــواش : يرجح بعض الباحثين أن قبائل المشواش سكنوا المناطق الشمالية للصحراء الليبية ويرى البعض الآخر أن ديارهم كانت تمتد غرباً حتى المناطق التي تمثل تونس الحالية وقد رأى بعض العلماء أن المشواش هم نفسهم المكسيس الذين أشار إليهم (هيرودوت) بأنهم يقيمون إلى الغرب من بحيرة تريتونيس

المحور الثالث ـ تأسيس المراكز الفينيقية :

نشأت المراكز التجارية مرتبطة بقدوم الفينيقيين الذين ترجح الدراسات أنهم من منطقة شبه الجزيرة العربية ، وإنما وفدوا إلى بلاد الشام في الفقرة مابين النصف الأول من القرن الثالث ق م ومابين (2000، 2500 ق م) ضمن الهجرة الأمورية واستقر بهم المقام على الساحل الشرقي للبحر المتوسط [15] وقد سمحت لهم الظروف بأن يصبحوا رواد الملاحة في ذلك الوقت ثم استغلوها في الجانب التجاري الأمر الذي بدوره فرض عليهم توسيع نشاطهم وإيجاد مراكز تجارية جديدة كانت المدن الثلاث من بينها ، وقد لعبت تلك المدن دور الوسيط في نقل البضائع الفينيقية [16] بحكم دراية تلك القبائل بطرق الصحراء

ومع نزول الفينيقيين إلي الشواطئ الغربية من ليبيا واستيطانهم فيها قاموا بتأسيس عدد من المراكز حملت اسم (الامبوريا) قامت في بادئ أمرها بدور تجاري ثم ما لبثت أن تحولت إلى مستوطنات ، سميت باسم المدن الثلاث (تريبولس) وهي تسمية أطلقها الإغريق والمستوطنات هي (لبدة ، أويا ، وصبراتة) وقد أطلق على هذه المستوطنات اسم (التريبوليتانيا) لأول مرة في القرن الثالث بعد الميلاد [17]

ولم يكن تأسيس المراكز وليد الصدفة بل كانت هناك زيارات من قبل الفينيقيين لشواطئ منطقة المغرب القديم ، فقد كانت المرحلة الأولى من حركة الفينيقيين نحو البحر الأبيض المتوسط بدافع إنشاء مراكز تجارية ، والتي كانوا من خلالها معرفة

تلك السواحل وهذا ما سمي بمرحلة الكشف[18] ، وحسب ما أورد هيرودوت فأن البدايات الأولى للتواصل بين الفينيقيين والليبيين كانت عندما قام الفينقييين بالنزول ببضائعهم على شواطئ ليبيا وإشعالهم (الدخان) إيذانا بقدومهم وهنا تبدأ عملية التبادل التجاري الصامت ومن مثل تلك المبادلات نستنتج مدى سلمية الفينيقيين وإعطاء مصالحهم التجارية أولوية قصوى ونعكس ذلك على العلاقات بين الطرفين إلى ابعد من ذلك .

لبده : لا أحد يعرف كيف تنشأ أسماء المدن ومن كان له قوة التفويض في أن يطلق هذا الاسم أو ذاك [19] عرفت مدينة لبده (لفقي) وقد حرفها الإغريق إلى ليبتس ثم أضيفت إليها الكبرى أو العظمى وذلك تمييزاً لها عن لبدة الصغرى وهي القريبة من قرطاج ولعل اسمها اخذ من الاسم الليبي القديم أو الفينيقي ليبادة أو اللبادة أو البادية وقد قام بتأسيسها مهاجرون من صور في لبنان وذلك في القرن السابع ق م . أن مستوطنة لبدة قد نالت ما تستحقه من الأسبقية والحظوة على سائر المستوطنات الأخرى التي أسسها الفينيقيين في منطقة طرابلس [20] وقد أنشأت لبدة بعد عام 514 ق م بعد إنشاء قرطاجة ، ولو أنها موجودة قبل هذا التاريخ لكانت قد أسهمت مع القرطاجيين والليبيين في القضاء على المستعمرة الإغريقية التي أنشأت بالقرب منها على مصب نهر وادي كعام ، أو على الأقل لكان ورد ذكر لبدة في هذا الصدد [21]

لعبت لبدة مكانة عظيمة خلال القرنين الثاني والثالث ق م . فقد مرت عقود طويلة من الاستقرار لم تشهد اضطرابات داخلية ، وقد استمرت كمحمية قرطاجية تؤدي دورها وضرائبها إلى أن حدث الاحتكاك بين القوى المتنافسة من إغريق ورومان وقرطاجيين حول احتكار التجارة البحرية ، وقد أثر ذلك بشكل أو بآخر على الحياة الاقتصادية في شمال إفريقيا التي اعتبرت منطقة نفوذ قرطاجية وبالتالي انعكس ذلك على مدينة لبدة باعتبارها محمية قرطاجية .

أويا (ويات) :

لقد كانت (أويا) تلعب دوراً مهماً كعنصر نشيط في أسرة الأمبوريا وبدأ بإمكان العالم أن يعي تلك الحركة على شواطئها ، ويمكن القول بأن لموقع المدينة الجغرافي الأثر الكبير في تحقيق تلاحم تجاري بينها وبين المدن الأخرى ، بالإضافة إلى أن لها علاقات منذ القدم فيما يدعى بالتجارة الصحراوية باتجاه إفريقيا ، ولذلك فأن الفينيقيين قدموا لها بأعداد كبيرة في القرن الخامس ق م في انتظار مجي قوافل الصحراء المحملة بجلود الحيوانات وريش النعام والعاج وغيرها كما ازدادت أهميتها التجارية

بعد إقامة طريق رئيسي بمحاذاة الشاطئ من قرطاجة بطول 512ميل ويذكر سيلسوس بأن مهاجرون جاءوا من صقلية ينتمون إلى أصل فينيقي ويرجح أنهم من مدينة صيدا ، واختلطوا بالسكان المحليين .كما يرجح بعض الباحثين اشتراك الليبيين في تأسيس المدينة ،وربما يكون ذلك صحيحاً استناداً على قول سيليوس أن المؤسسين قد اختلطوا بالسكان الإفريقيين [22]

صبراتة :

ما من اتفاق بين المؤرخين على تاريخ دقيق لتأسيس مدينة صبراتة ، وإن كان البعض يرجح تأسيسها في القرن السادس ق م وبسبب عدم إمكانية الوصول إلى المستويات الفينيقية في مواقع تلك المدن فإن هذه التواريخ تعتبر مبدئية [23]، ومما يؤيد هذا الرأي هو الحفريات الحديثة التي أجريت بالمدينة مابين الفورم والبحر فقد وجدت أثار فينيقية تمثلت في مصاطب رملية كان الفينيقيون قد انشأو فوقها أكواخ لهم بشكل مؤقت ، وقد وجد اسم المدينة على عملة بونيقية باسم (صبرات) أو (صبرة) وتعني (سوق الحبوب) الأمر الذي يدل على أن للمدينة دور مهماً في التبادل التجاري ، كانت صبراتة كمركز تجاري واجهة لمدينة أخري أسسها الفينيقيين بالقرب من الجوش تسمى (صابرية) كما أكد ذلك بليني الأكبر في كتابه التاريخ الطبيعي وكذلك بطليموس في كتابه الجغرافيا أن هناك مدينتين كانت الأول وهي بالدواخل تدفع الضرائب للثانية الساحلية وهذا ما أكدته المصادر التاريخية من وجدود آثار رومانية بالقرب من قرية الجوش الحالية . وقد أكد العلماء عن وجود ارتباط تجاري بين هاتين المدينتين [24] وقد كان السبب الحقيقي الذي دعى الفينيقيين إلى تأسيس مدينة صبراتة هو العامل الاقتصادي المتمثل في توسيع نشاط الفينيقيين التجاري غرب البحر المتوسط ، وإيجاد علاقات تجارية مع السكان المحليين اللذين كانوا يعيشون بالقرب من الساحل .

المحور الرابع ـ العلاقات الليبية الفينيقية واثر كلاً منهما على الآخر:

كانت النوايا القرطاجية في بداية نزولهم على سواحل شمال أفريقيا تخلوا من الطابع العسكري التوسعي ، واتسمت بالسلمية والمهادنة

(الجانب الاقتصادي) : إن النظم الاقتصاديــة تختلف من حضارة إلى أخرى وتعتمد على التفاعل بين الجماعة وبين نظمها الحضارية وبين الطبيعية [25] فالقرطاجيين اعتمدوا في اقتصادهم على اقتصاديات التمويل المركب التي تشمل الزراعة

والصناعة والتجارة ، وقد كانت الأخيرة ابرز اقتصاديات قرطاج في ذلك الوقت [26]، مع العلم أن سكان ليبيا قديماً مارسوا التجارة وخاصة تجارة القوافل مع المناطق الداخلية والخارجية مع حوض البحر الأبيض المتوسط ، ويعتبر الجرامنت من ابرز الأقوام التي مارست التجارة وهذا ما يميزهم عن غيرهم من السكان [27] عمل سكان الساحل بالتجارة خاصة تجارة المنتجات الزراعية كزيت الزيتون وبعض السلع المحملة من أواسط إفريقيا ، وعند مجي الفينييقين انتعشت التجارة واستطاعوا تحقيق أرباح اقتصادية كبيرة . إذ تطورت المحطات التجارية وأصبحت مستوطنات تعتمد على الزراعة والتجارة الأمر الذي دفعهم إلى توسيع تجارتهم البحرية على طول امتداد الساحل الليبي مروراً بأويا ونوميديا حتى موريتانيا إضافة إلى تجارتهم في إفريقيا الوسطى .

ومن المرجح أن الليبيين كان لهم دور تجاري في أثناء وقبل مجي الفينيقيين فقد ذكر هيرودوت طريقة مقايضة البضائع التي يجلبها الفينيقيين مع السكان المحليين ، والتي كانت تعرف بالتجارة الصامتة [*] ، وقد كان هناك علاقات تجارية مع أواسط إفريقيا عن طريق حلقة الوصل قبائل الجرمنت بين الساحل والصحراء ، فقد جلبوا البضائع المختلفة كالذهب والأبنوس والعاج والأحجار الكريمة وريش النعام [28]

هذا وتعد جرمة مركزاً تجارياً بالغ الأهمية إذ كانت ملتقى القوافل التي تنقل البضائع عبر الصحراء إلى المناطق الساحلية حيث تتم مقايضة البضائع مع التجار الفينيقيين مقابل المصنوعات التي جلبوها معهم [29] وتبقى جرمة نقطة التواصل بين الساحل والصحراء فالجرمنت كانوا يرتادون مناطق أفريقيا وكان لهم دور بارز في نقل الإرث الحضاري من بلدان الشمال الإفريقي ومناطق ما وراء الصحراء وقد كانت المناطق الصحراوية تمر بخط طرق من الشمال إلى الجنوب من أويا ـ لبدة ـ بونجيم ـ سوكنة ـ جرمة ـ ومن جرمة تخرج تلك القوافل إلى الجنوب [30] وكل هذا يدعم النشاط التجاري لسكان ليبيا قديماً ، فقد لعبو دور كبير في التجارة مع الاريتريين والفينيقيين من جهة ويتولون قيادة القوافل والسيطرة الطرق التجارية الصحراوية من جهة أخرى. ويؤكد موفيل أن مصالح القرطاجيين كانت جلها تقريباً ترتكز على التجارة . ومما يؤكد ذلك الرحلات الاستكشافية التي قام بها القرطاجيون لمعرفة مناطق جديدة وفتح أسواق تجارية فيها ، واكتشاف مواد خام جديدة ، وقد كانت رحلة حانون القرطاجي في مجاهل غرب أفريقيا حوالي 425 ق م ،وهي الرحلة التي خلدها نقش عثر عليه في معبد بعل حامون في قرطاجة ومن جملة ما جاء فيها أنه أبحر على

رأس ستين سفينة تقل أزيد من ثلاثين ألف شخص ، وهذا الرقم يعكس الأهمية التي أولتها قرطاجة لمثل هذه الرحلات الاستكشافية.[31]

اعتبرت الزراعة من العوامل المهمة والأساسية في حياة الشعوب بمختلف مناطقها شرقية كانت أم غربية فالليبيين مثل غيرهم من الشعوب الأخرى عرفوا أساليب الزراعة قبل مجي الفينيقيين ، وهذا ما أكدته الدراسات الأثرية وما الرسوم النقوش إلا دليل على ذلك وإنهم كانوا يستخدمون محاريث ذات رأس دوار في حين استخدم الفينيقيين المحاريث الثلاثية يجرونها بأنفسهم باستخدام الحبال ثم بعد ذلك استخدموا الثيران لجر تلك المحاريث [32]، ومن هنا نلاحظ الأثر والوسيلة التي جاء بها الفينيقيين في استخدام أساليب الزراعة وتطويرها في الحياة اليومية ، اليبيون أو اللوبيون في العصر البوني لم يعرفوا الوسائل الميكانيكية لفلاحة محاصيلهم ،وقد اعتمدوا في السابق على أدوات بدائية حجرية تمثل النواة الحجرية[33] ، وقد عرفت القبائل الليبية أساليب الزراعة وهو ما أثبته الآثار المادية المصرية في لوحة (الحصون والغنائم) وكذلك أنشودة النصر للملك مرنبتاح وعلى الرغم من وجود أشجار الكروم قبل المجئ الفينيقي للمنطقة فأن الفينيقيين ادخلوا تقنيات التدجين على فصائل جديدة جاءو بها من بلادهم الي بلاد المغرب القديم فعلى سبيل المثال كان في منطقة الشمال الأفريقي ثمار التين البري والفينيقيين هم الذين طوروا أصنافا جديدة وذلك لخبرتهم في المجال الزراعي حتى عرف بالتين الأفريقي .

وقد علم الفينيقيين بعض تقنيات الزراعة من بينها تحسين نوعية أشجار الزيتون بعدما كان برياً هو الآخر وعلموهم زراعة الشجر المثمر مثل الرمان والتين وأشجار اللوز وقد أعطى (ماغون) تعليماته بزراعة اللوز خاصة بين شهري أكتوبر وديسمبر أو ما يسمى بالانقلاب الشتوي كما عرفت منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط النباتات الصناعية مثل (الجلجلان) الذي يستخرج منه الزيت المستخدم في أسيا وقد جلبه الفينيقيون معهم .

أما عن تقنيات الصيد البحري فمن المعروف أن الفينيقيين كانوا جوابي بحار وان خبرتهم البحرية مكنتهم من إقامة مسمكات على طول سواحل البحر الأبيض المتوسط من خليج سرت حتى جنوب اسبانيا لم يكتف الفينيقيين بالتجارة فحسب ؛ بل طوروا أنفسهم في المجال الصناعي وذلك من خلال مخالطتهم بالمصريين فقلدوا صناعاتهم من فخار وخرف وغيرها وكتبوا عليها حروفاً تشبه اللغة الهيروغليفية ، ومن ثم

يبيعونها على أنها مصرية[34] فقد كانت الصناعة الفينيقية في غاية الإتقان والإبداع وتحوي المنسوجات والحلي والتحف الثمينة وأواني البلور اللذين هم اخترعوه[35]

أن التغيرات التي مر بها البناء الاجتماعي في منطقة المغرب العربي كانت منحصرة في النسيج الاجتماعي والمكون العام من حيث الحياة العادية ، وقد حوي المجتمع الليبي القديم عناصر بشرية محلية أصيلة ، وان العناصر البشرية الوافدة (الفينيقيين) لم تشكل زيادة سكانية كبيرة ولم تتضح كثيراً في النسيج الاجتماعي الليبي القديم [36] ، ونحن هنا لا نقلل من أهمية العنصر الوافد أو دوره على المستوى السكاني في المنطقة ، إلا أن المظاهر كانت ناقصة ونسبة التدليل عليها راجع إلى نقص المادة الأثرية فعندما استوطن الفينيقيين الساحل الليبي كانت القبائل الليبية غير مستقرة تجوب المناطق الساحلية مثل قبائل النسامونيس وقبائل اللوتوفاجي الأمر الذي سمح للفينيقيين بالاستقرار داخل الأراضي التي يسكنها الليبيين موسمياً ، وهذا ما سمح بتغير بسيط في النسيج الاختلاط الليبي الفينيقي أصبح أثره واضحاً وتأثير الفينيقيين أكثر وضوحاً حيث عملوا على نشر اللغة والكتابة بين سكان المنطقة الأمر الذي جعل السكان المحليين ملزمين بتعلم اللغة الجديدة لغة الحضارة والثقافة والاقتصاد ،وكتلت معظم النقوش على المقابر و الأضرحة ولمنشآت المعمارية باللغة والحروف البونية ، وهناك الكثير من الشواهد التي تدل على ذلك [37]

والجدير بالذكر أن اللغة البونية هي تطور للغة الفينيقية التي جاء بها التجار الفينيقيين ، غير إنها تعرضت للكثير من التأثيرات المحلية المغربية ، منها اللغة واللهجات الليبية القديمة واللغة اللاتينية [38] فمع قدوم الفينيقيين إلى شمال أفريقيا طرأ على اللغة الفينيقية عدة تغيرات ، لأنها لم تستطيع الصمود امام اللغة الليبية المحلية وأدخلت عليها بعض التغيرات مع بداية القرن الرابع ق م [39] فقد كان للغة الفينيقية تأثير هام نوميديا وقرطاج [40] وقد 1كر فرانسوا ديكيريه " أن تغلغل القرطاجيين في المجتمعات الفينيقية أسفر عن تمازج أدى رابطة إثنية وثقافية وثيقة [41] ،وعن انتشار اللغة البونية في إقليم طرابلس فهناك رواية لسالوست يقول فيها أن لبدة الكبرى تغيرت لغتهم بسبب المصاهرة بينهم وبين النوميديين ولاشك أن هذا الاختلاط والتزاوج قد صهر العنصرين في بوتقة واحدة وبالتالي إلى تأثر الليبيين بالحضارة الفينيقية الوافدة وامتزجت لغاتهم ونتج عنها اللغة البونية [42]

ويمكن القول أن العلاقات الفينيقية الليبية السلمية أدت الى خلق حضارة فريدة نتج عنها تمازج لغوي سمي باللغة الفينيقة ، وكذلك بسبب التأثير الفينيقي كان المجتمع

الليبي وفياً لتلك الحضارة حتى بعد زوالها وهذا يدل على تقبل العنصر المحلي للثقافة الفينيقية ومنها للغة

الجانب الديني والاجتماعي : أما من الجانب الديني فأنه بمجي الفينيقيين إلى بلاد المغرب القديم جلبوا معهم معبوداتهم وآلهتهم التي كانوا يقدسونها في بلادهم الأصلية ، ومع الوقت ونتيجة للعامل المشترك الذي يجمع بين الديانتين الفينيقية والليبية القديمة وذلك عائد إلى ارتباط كلاً من الديانتين بظواهر الطبيعة فأن الامتزاج كان حتمي وأصبح واضحاً بينهم ، فقد قام الفينيقيين باستبدال معبودهم ملقارت وعشتار بالإله تانيت وبعل حامون فحين وصل التجار الفينيقيون إلى شواطئ أفريقيا وشيدوا مدينة قرطاج كانوا يحملون معهم آلهتهم الفينيقية وخاصة كبير آلهتهم بعل .لكن بمجرد ما بدؤوا يتفاعلون مع البربر، بدأ آمون يفرض وجوده حتى اقترن ببعل في ما أصبح يعرف بعل حمون "عند القرطاجيين وخاصة أن الأمة الفينيقية كانت أمة منفتحة على العالم وبهذا الزواج ظهر عنصر جديد على الأراضي الليبية وهو العنصر الليبوفينيقي) 28 (الذي اندمج فيه العنصران وتبادلا ثقافتيهما وأصبح هذا التمازج واضحاً بينهما,ولاسيما في الجانب الديني وعبادة كلٍ منهما آلهة الآخر ووصل هذا الاندماج إلى أن الليبيين كانوا (يشترون التمائم من الأصداف ومن بيض النعام من الفينيقيين بعدما كانوا يصنعونها بأنفسه[43] ، وبالرغم من تعدد الآلة بين ليبية وفينيقية والدور الذي يختص به كل اله غير أن ذلك الاختلاف لم يكن ذا أهمية من حيث طرق وطقوس العبادة ، فعبد الليبيون الآلة بنفس عبادة الفينيقيين لها ونفس أسمائها ، وقد كان عدد من الآلة الليبية يماثل الآلة الفينيقية ولها نفس التأثير[44] ، ومن بين الآلة الليبية والفينيقية التي عبدت في منطقة الشمال الإفريقي نذكر الآتي :

الإله قورزيل ـ وهو اله ليبي عبد حوالي القرن السادس ق م حيث وجد نقش في ترهونة الليبية يحمل اسم هذا الإله ، وقد انتشر بشكل واسع في ليبيا متمثلاً على شكل ثور يحمل بين قرنية قرص الشمس ، وهو يمثل القوة والخصوبة وقرص الشمس يمثل الضياء والنور

الإله آمون ـ بمعنى (الخفي) ومكان عبادته الصحراء الغربية ثم أصبح الإله الرئيسي في واحة سيوة في عصر الدولة المصرية الحديثة ، وقد اختلف الباحثين في أصل هذا الإله فهناك كمن يرى انه من أصل ليبي وفريق آخر يرى بأنه من أصل مصري وهو يختلف عن الإله أمون الليبي .

الإله تانيت ـ اختلف الباحثين في أصل الإله تانيت كذلك هل هي منشأ ليبي أم أنها جاءت مع الهجرات المتعاقبة على المنطقة وقد اقترنت بإلهه فينيقية أدى إلى إعطائها اسماً جديداً وهو (بنت بعل) حيث ورد ذكر اسمها على نقش فينيقي يعود الى القرن السابع ق م ، وقد عبدت تانيت كأم وزوجة للإله بعل وقد كانت مانحة للخصوبة والإنتاج [45]

الإله بوسيدون ـ عبد هذا الإله حول بحيرة تريتونيس وقد اعتبرت تلك البحيرة مكان مقدس كما ذكره هيرودوت في كتابه الثاني بقوله : عرفه اليونانيون من الليبيين ، لأن اسم بوسيدون لم يكن معروف عند أي شعب عدا الليبيين الذين يعظمون هذا الإله دائماً وأبدا [46]

ومن الإله الفينيقية التي عبدت في ليبيا وشاركهم الليبيين في عبادتها نتيجة للتمازج الحضاري الليبي الفينيقي ومن تلك الإله نذكر الآتي :

الإله بعل حامون ـ عبد هذا اله في مدينة قرطاجة في حوالي القرن السابع ق م ، وقد كان تقدم الأضاحي البشرية والحيوانية كقربان لذلك الإله [1] ، وقد صور هذا الإله علي شكل رجل ملتحي يجلس على عرش يحمل قرني كبش وهذا التصوير له دلاله وهي عملية القوة والإخصاب .

الإله عشتار ـ عبدت عشتار في مدينة لبدة الكبرى وشمال أفريقيا بشكل عام في فترة الانتشار الفينيقي في غرب البحر المتوسط وقد اكتسبت صفة حماية مدينة لبدة من الأخطار .

الإله ملك عشتار ـ وهو من أهم الإله الفينيقية التي كانت تعبد في مدينة صور الفينيقية متمثلاً في اله الشمس ، ثم تحول إلى الصفة البحرية بعد أن تحول الفينيقيين الى ركوب البحر ، وقد عبد هذا الإله أيضا في مدينة لبدة الكبرى في نهاية القرن الثاني ق م وبداية القرن الأول ق م .

اختلفت الإله التي عبدها الليبيين والفينيقيين مجتمعين ، وضلت تلك الإله تعبد في ليبيا القديمة وخاصة في اقلي المدن الثلاث حتى وقت متأخر خاصة من العصر الروماني .وقد انصهرت تلك الإله وامتزجت عبادتها مع الإله الفينيقية تحت أسماء أخرى في العصر الروماني . وليس من المستبعد أن يكون قد أدى ذلك إلى زواج بعض هؤلاء التجار بالنساء الليبيات ,فبقاء التجار فترة طويلة بعيدين عن بلادهم في الشرق فرض عليهم تكوين أسر جديدة في وطنهم الجديد ,فهذه المصاهرة كانت تعود بالنفع على كلا الطرفين وخاصة أن الأمة الفينيقية كانت أمة منفتحة على العالم وبهذا

الزواج ظهر عنصر جديد على التراضي الليبية وهو العنصر الليبوفينيقي الذي اندمج فيه العنصران وتبادلا ثقافتيهما وأصبح هذا التمازج واضحاً بينهما .

الخاتمة :

يعتبر الفينيقيون من أوائل الشعوب التي عرفتها المنطقة الغربية من ليبيا ، إذ بدأت السفن الفينيقية تتجه إلى الشواطئ الليبية منذ القدم . وذلك نظراً لوقوعها في طريق رحلاتهم البحرية المتجه إلى اسبانيا مصدر المعادن في العصور القديمة ، وعندما أدرك الفينيقيين الأهمية الاقتصادية للساحل الليبي شرعوا في تأسيس مراكز تجارية لهم حيث أنهم اختاروا مواقع هامة على الساحل أنشأوا فيها تلك المراكز فقد اكتسبت أهمية كبيرة وشهادة عظيمة نتيجة للتبادل التجاري النشط . وقد دفعهم لذلك عدة عوامل من أهمها تعرض بلادهم للضغط من قبل الأشوريين ، وكذلك الصراعات الداخلية بالإضافة إلى العامل الاقتصادي الذي دفعهم إلى البحث عن مراكز جديدة وأسواق تجارية من اجل تصريف بضائعهم ومنتجاتهم ، ومع هذا الزخم من الإحداث ومع قدوم الفينيقيين إلى بلاد الشمال الإفريقي حدثت متغيرات شارك فيها العنصر المحلي المتمثل في السكان الأصليين وهم الليبيين القدماء اللذين كان لهم دور بارز في صنع الأحداث ، وذلك على مختلف الأصعدة اقتصادية كانت أو دينية واجتماعية امتزجت فيها الحضارتان أخذت كل حضارة من الأخرى كما أعطت ، وهذا ما لاحظناه من دور الجرمنت كوسيط اقتصادي هام ، والدور الذي لعبته تلك المراكز التي ارتبط تأسيسها بوصول الفينيقيين إلى المنطقة ، واشتراك الليبيين في تأسيس تلك المدن ، وعلى الرغم من سيطرة قرطاج اقتصادياً على تلك المدن إلا أنها أعطت لها نوعاً من الحرية الذاتية

الهوامـــــــــش :

(1) محمد مصطفى بازمة ،تاريخ ليبيا في عصور ما قبل التاريخ ، ج 1 ، منشورات الجامعة الليبية ،1973م ص 29

(2) اندريه لاروند ، برقة في العصر الهلنستي ، ت (محمد عبد الكريم الوافي) ، بنغازي ، منشورات جامعة قاريونس 2002م ص 432

(3) اتوري روسي ، ليبيا من الفتح العربي حتى 1911م ، (ت) محمد خليفة ، الدار العربية للكتاب ، ط1، 1991م، ص24

(4) محمد الهادي حارش ، مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ القرن التاسع إلى القرن الأول ق م، ص 21 ، 23

(5) محمد مصطفى بازمة ،تاريخ ليبيا في عصور ما قبل التاريخ ، ج 1 ، منشورات الجامعة الليبية ،1973م ص 29

(6) موسى معمر زايد ، حضارة الحصون في اقليم المدن الطرابلسية خلال العصر الروماني ، رسالة دكتوراة غير منشورة ،كلية الآداب ، جامعة عين شمس ،2014م

(7)عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا ،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ،2001م ص 39

(8)عادل عمران البركي ، النشاط الاقتصادي وأثرة في بناء وسقوط قرطاج ،

(9) هيرودوت ,الكتاب الثاني هيرودوت يتحدث عن مصر ,ترجمة محمد صقر خفاجة ,الهيئة المصرية العامة للكتاب,1987م، فقرة 171

(10)عبد السلام شلوف ، قبيلة النسامونيس ، مجلة جامعة قاريونس العلمية ، العدد الأول والثاني ، بنغازي ، منشورات قاريونس ، 1991، ص 43

(11) هيرودوت ، ,الكتاب الثاني هيرودوت يتحدث عن مصر ,ترجمة محمد صقر خفاجة ,الهيئة المصرية العامة للكتاب,1987م، فقرة 175

(12) عبداللطيف محمود البرغوثي ، التاريخ الليبي القديم من اقدم العصور حتى الفتح الإسلامي ، دار صادر م1971،ص691

(13) عبدالحفيظ الميار ، ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ،2001م ،ص 50

(14)هيرودوت ، الكتاب الثاني هيرودوت يتحدث عن مصر ,ترجمة محمد صقر خفاجة ,الهيئة المصرية العامة للكتاب,1987، فقرة 183

(15)محمد الصغير غانم ,التوسع الفينيقي في غربي المتوسط ,ط ,1- ديوان المطبوعات الجامعية ,الجزائر , 1979ص20

(16)محمد الصغير غانم ,التوسع الفينيقي في غربي المتوسط ,ط ,1- ديوان المطبوعات الجامعية ,الجزائر , 1979ص68 –

(17) أتوري روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م ، ت خليفة التليسي ، الدار العربية للكتاب ، ص25

(18) محمد الصغير غانم , , ,التوسع الفينيقي في غربي المتوسط ,ط ,1- ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر, 1979 ص68 –

(19) نجم الدين الكيب ، مدينة لبدة ، (الاسم والنشأة والتاريخ) المنشأة العامة للنشر والإعلام طرابلس ، ليبيا ، ط 1، ص27

(20) رجب عبد الحميد الاثرم ، تاريخ ليبيا القديم ،ط 4 ، منشورات جامعة قاريونس ،بنغازي ،2003،ص 196

(21) رجب عبدالحميد الاثرم ، تاريخ ليبيا القديم ،ط 4 ، منشورات جامعة قاريونس ،بنغازي ،2003 ، ص 103

(22) احمد محمد انديشة ، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، ص 36

(23) عبد الحفيظ فضيل الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ،2001م ص 139

(24) محمد الطاهر عيسى ، مدينة صبراتة منذ الاستيطان الفينيقي حتى الوقت الحاضر ، الإدارة العامة للبحوث الأثرية ، مصلحة الآثار طرابلس ، 1978، ص 14

(25) محمد رياض ، الإنسان دراسة في النوع والحضارة ، ـ دار النهضة ، بيروت ، ص407

(26) عبدالحفيظ الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ،2001م ، ص 186

(27) جون راتب ، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور ـ، مكتبة الفرجاني ، ط2 ، 1993، ص24

(28) احمد انديشة ، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، مرجع سابق ، ص 21

(29) احمد انديشة ، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، مرجع سابق ، ص 116

(30)) محمود الصديق أبو حامد ، مظاهر الحضارة الفينيقية ، ص131
(31) نوال مغازي ، قراءة في تطور العلاقات السلمية بين قرطاج والليبيين ، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر ، م 3 ، ع5، 2015، ص246
(32) مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة الدكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم جامعة منتوري، قسنطينة،2009 ،2010م ، ص184
(33) مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة الدكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم جامعة منتوري، قسنطينة،2009 ،2010م ، ص184
(34) احمد فخري ،دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص120
(35) احمد توفيق المدني قرطاجة في أربع عصور من عصر الحجارة إلى العصر الإسلامي ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،زيروت يوسف ـ الجزائر ،1986،ص24
(36) مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة الدكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم جامعة منتوري، قسنطينة، 2009،2010م ، ص183
(37) موسى أمعمر زايد، الحياة الفكرية والروحية في المجتمع الطرابلسي منذ فجر التاريخ حتى دخول المسيحية ،مجلة أنوار المعرفة ، كلية التربية ، جامعة الزيتونة ، العدد 8، ديسمبر2020م ص7
(38) موسى أمعمر زايد، الحياة الفكرية والروحية في المجتمع الطرابلسي منذ فجر التاريخ حتى دخول المسيحية ،مجلة أنوار المعرفة ، كلية التربية ، جامعة الزيتونة ، العدد 8، ديسمبر2020م، ص 8
(39) عبدالحفيظ الميار، ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ،2001م ص 46
(40) محمد علي دبوز ،تاريخ المغرب الكبير ج2، ط1، ص137
(41) فرانسوا ديكيريه ، قرطاجة إمبراطورية البحر ، ص 119
(42) عبدالحفيظ فضيل الميار ، ظاهرة استمرارية اللغة والثقافة ، ص 95
(43) فاطمة سالم العقيلى ,القبائل الليبية في ضوء المصادر اليونانية والأدلة الأثرية من 631 م حتى 96 ق.م(رسالة .) ماجستير غير منشوره)جامعة قاريونس , 2001 ,ص216
(44) ت . هـ ورمنقتون ، تاريخ ولايات شمال افريقيا الرومانية من دقليانوس الى الاحتلال الروماني ، ت، عبدالحفيظ الميار،1197 م، ص 70
(45) محمد بيومي مهران ,المغرب القديم ,دار المعرفة الجامعية ,الإسكندرية , 1990 ,ص212
(46) هيرودوت ,الكتاب الثاني هيرودوت يتحدث عن مصر ,ترجمة محمد صقر خفاجة ,الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987 .م ,الفقرة , 50 ص152
(47) أحمد الفرجاوي ,بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي و قرطاجة ,المعهد الوطني للت ا رث , المجمع التونسي .) للعلوم والآداب والفنون ,بيت الحكمة ,تونس 1993 م ,ص29

(*) حيث كانوا يحضرون بضائعهم إلى الشاطئ ويتركونها هناك ويعودون إلى سفنهم ويشعلون ناراً حتى يرى الاهالى الدخان فيأتون إلى الساحل ، ويضعون الذهب بجانب البضاعة ويبتعدون ثم يأتي القرطاجيون لمعاينة الثمن فإذا كان غير مرضي ابتعدوا إلى سفنهم حتى يأتي الأهالي ويزيدون الثمن وإذا قبل القرطاجيين اخذوا الذهب ورحلوا وقد كان التعامل مبني على الثقة